

ها وراء الصورة

القنوات تفضّل الأكشن... والناهار البديلة امتطت الحصان الرابع المرأة اللبنانية وهنح الجنسية في

الحلقة المذكورة... كلها ملامح تجمع المقاربة التلفزيونية لقضية منح الجنسية. نتحدث هنا عن فترة زمنية تمتد على ما يقارب عشرين عاماً، أي تاريخ إطلاق هذه القضية الحقوقية على يد جمعية «جنسيتي حق لي ولأسترتي» عام 2002، ضمن مبادرة إقليمية انطلقت عام 1999 وهدفت إلى المساهمة في تحقيق المواطنة الكاملة للمرأة، من خلال عملية إصلاح القوانين المحففة بحقها، وبخاصة قانون الجنسية، مع إلغاء مختلف أشكال التمييز بحقها.

مبادرة جالت لبنان، سوريا، مصر، البحرين، الجزائر، المغرب والأردن، لبحصار بعد عامين، إلى إحداث إصلاحات في قوانين الجنسية في مصر، تلتها الجزائر (2005)، والمغرب (2007)، وفلسطين واليمن وتونس. ظل لبنان المستثنى من هذه الإصلاحات إلى جانب بعض الدول العربية، رغم أنه أول بلد عربي تخلّط منه حملة مدنية حقوقية تخص قضية الجنسية. ورغم أن وسائل (الأفلام الوثائقية، وسائل التواصل

التسليية في الإستديو، ومحاولة التقليل من شأن ما يُقال، ووضعها في إطار «المشاكسة»، حلقة شُرعت الباب على ضرورة فتح نقاش جدي في الإعلام المرئي على وجه التحديد، والدور السلبى الذى يؤدّيه، تجاه قضايا حقوقية جمة، على

قاطعت otv «جنسيتي حق لي ولأسترتي» لأنّ الأخيرة عارضت مشروع القانون المقدم من كلودين عون

راسها حق المرأة في إعطاء الجنسية لأولادها. إذ أنّ الخلل في التوازن بين آراء معارضة ومؤيدة، وترجح كفة الميزان لصالح شخصيات تساند التلفزيونيون في الإشارة التي يبتغيها، وبالتالي الذهاب نحو التسطيح كما حصل مع

دون وعيها، الفنانة البريطانية سوون (3, 81 × 81,3 سنتم - 2014)



الإجتماعي، والإستعانة بالنجوم والمشاهير) كانت بالفعل منابر رديفة وفعّالة في مواجهة فيتيوات القنوات.

ضوية وطائفة

عام 2002، أعلن ضمن مؤتمر صحافي عن إطلاق حملة «جنسيتي حق لي ولأسترتي»، نضال شبيك مع الإعلام المحلي، كحاجة وكشراكة ملخّتين. لكن كيف كان هذا التشبيك؟ هل كان الإعلام بمكوناته الطائفية والجزئية، مناصراً لهذه القضية، أم مقصراً بحقها؟ ما هي المراحل التي طبعت علاقة الإعلام بقضية الجنسية؟ أين يضع هذا الإعلام الفتوى على أصوات الجمعيات وأصحاب الحقوق، وكيف يفسح لها المجال للتعبير (المقنّن)، وبأي وسائل؟ هل استطاع الإعلام اللبناني فعلاً التعاطي مع هذه القضية كقضية حقوق، أم انزلق بها نحو خطابات فئوية وتخويفية، أو أقله حجب أصوات المناصرة، وتظهر أصوات النشاز، لتحوّل الساحة الإعلامية لها وحدها؟ أسئلة كثيرة نحاول الإجابة عنها هنا، مع فتح النقاش حول الوسائل البديلة التي فرضت نفسها على قضية منح الجنسية، ووسائل (الأفلام الوثائقية، وسائل التواصل

على حدّ تعبير شبنو، هنا، قُزرت الجمعية لتنظيم ورش تدريب للإعلام، حول كيفية تناول القضايا الحقوقية من منظار جندي، مع التنويه بإداء الصحافة المكتوبة وقذفها، ودورها الفعّال والقوي في مناصرة هذه القضية.

في الدخول في تفاصيل التعاطي الإعلامي، يظهر جلياً أنّ الإعلام المحلي لم «يخذل» التحركات الميدانية والإعتصامات، مع فارق أن الحضور الكثيف قبلاً، للمراسلين/ ات، كان أكبر، ليضاهل مع الوقت، ويختفي اليوم هؤلاء، والاكتماء بإرسال كاميرات وميكروفونات، وحتى مقاطعة بعض القنوات للجمعية. تذكر شبنو هنا، مقاطعة محطة otv لمؤتمرها الصحافي الأخير، لأنها فقط عارضت مشروع القانون المقدم من كلودين عون رئيسة «الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية»، قبل سنوات قليلة، تحوّلت مطالبة المرأة بمنح أولادها الجنسية، إلى قضية رأي عام، بفعل خروج شهادات حيّة من الأهالي اللبنانيات اللواتي كسرن حاجز الصمت، وكشفن عن وجوههنّ، وطالبن بحقهن المكفول في الدستور اللبناني، وفي المواثيق الدولية

الإعلام: استعراض أم معركة رأي عام؟

التقارير الخاصة بها ضمن نشرات الظهيرة، وتقييمها في المقابل عن نشرات المساء الأساسية أو المرور عليها بشكل سريع، مشكلة جوهرية تخضع الأجدنة الإعلامية للقنوات، وللعب على التعطيم الواضح لهذه القضية. هكذا، حوّل

كان التعاطي مع صاحبات الحقوق، حالات تثير الشفقة بغية خلق تماطف شعبي معها

الإعلام المحلي قضية حقوقية، إلى أخرى فئوية، وحتى ظرفية (بحثقي بالأهيات وبيضاء على حقهن في مناسبة عيد الأم)، وعمل على تطوير الخطاب الطائفي الذي يتصدر الشاشات، تكوّن مصطلحي «ديموغرافيا»، و«توطين»، وغيرهما للتعمية على الحق الأساس، وطمس حقيقة وواقع حق الجنسية، فيما يغيب بشكل جوهري في السنوات الأخيرة، بحث معمق أو إضاءة على أحوال الأولاد المحرومين من الجنسية، وكيف يعيشون إزاء تحطم الكثير من أحلامهم وطموحاتهم، بسبب سياسة إقفال الأبواب التي تقاتي من حرمانهم الجنسية، منذ دخولهم المدرسة ومعاملتهم ككاجانب، مروراً بالجامعة وإرغام أنفسهم على الدخول في إختصاصات محددة يستطيعون ممارستها في لبنان، ولا تنتهي بحرمانهم من حقهم في الإستشفاء وحتى الميراث.

الإعلام البديل

إزاء فرض القنوات التلفزيونية حظراً على الجمعيات وصاحبات الحق نارة، وتقنين مساحة نشاطاتها الاعتراضية المدنية مساحة الشاشات طوراً، وجد هؤلاء وسائل التمييز الاجتماعي بديلاً ناجحاً لإبصال الصوت عبر التحشيد. تلقت شبنو إلى صفحة الجمعية على فيسبوك، التي يتابعها تعدد ثابت أكثر من 20 ألفاً، وإلى ازدياد العدد بشكل تصاعدي (أكثر من 45 ألفاً داخل لبنان)، بخاصة عندما تنشر الصفحة فيديوات مباشرة حيّة. هنا ينجدب الإعلام إلى التفاعل العالي، وبياتي ليكطف نماره، في الإعلام البديل، تقول شبنو إن هناك «حرية في القفطية»، و«سرعة في التفاعل»، خاصة عندما تنشر فيديوات تبثها شهادات حيّة تعاني من حرمانها من الجنسية. فقد كسر الحاجز، وبيات النسوة يتساقفن على الإذلاء بشهاداتهم ونشرها أمام العالم، كي تصل أصواتهن من دون رقابة ولا تقنين، عبر القضاء المفتوح.

مناصرون... مخادعون!

أضحى حق منح المرأة أولادها الجنسية قضية رأي عام في السنوات القليلة الماضية، خصوصاً العام الماضي الذي شهد الانتخابات النيابية اللبنانية. مرحلة مفصلية تطهّرت فيها قضية الجنسية، بشكل كبير، بخاصة على لسان ساسة وإعلاميين ومؤثرين في الرأي العام، أعلنوا تأييدهم علناً لهذا الحق ودفع كل أشكال التمييز بحق المرأة، ما دفع القضية أكثر إلى الضوء.

أحزاب وشخصيات سياسية انخرطت في الخطاب المناصر للمرأة وحقتها في تكريس مواظبتها. وبعد الانتخابات، استمرت بعض الأصوات المناصرة، فيما اختفت أخرى بعدما استخدمت القضية ضمن أجندة استقطاب النساء المغنيات، وعوائلهن في التصويت، وبعد انتهاء المهمة، عادت إلى قواعدها الأولى. ولعل تغريدات ومواقف الصحافي جوزيف أبو فاضل، على تويتر تحديداً، نشطت القضية، ولو انقسمت حولها الآراء، ففعل النقاش

أعمال وثائقية

أطلقت «جنسيتي حق لي ولأسترتي» العام الماضي فيلماً قصيراً بعنوان «وطني... لبنان» (8:50)، ركز الشريط على شهادات شباب وشابات حرّموا من الجنسية، ومن حقهم في المساواة مع بقية اللبنانيين. فيلم جال على قطاعات التعليم، والصحة، والإختصاص الجامعي، والعمل، وصعوبة الاستحصال على هذه الحقوق من قبل هؤلاء فقط لأنهم مندرجون ضمن خانة «الأجانب». يطل العمل على عقدة الذنب التي يزرعها الأولاد في نفوس أمهاتهم فقط لأنها اقترنت بأجنبي وجلبت لهم هذه العقبات، من دون أن ينسى أن هذا الأمر مرّده إلى إقرار القانون لا أكثر، ولا يدخل للاهيات به. وضمن الشرائط المماثلة، طرحت الإعلامية والكاتبة اللبنانية ندى حطيط، فيلم «شهرزادات لبنان» (20 دقيقة) في العام نفسه، حيث أطلّت على قضايا تخص النساء في لبنان من خلال شهادات حيّة مؤثرة من هؤلاء اللواتي عانين في قضايا حقوقية عدة على رأسها حق منح الجنسية لأولادهن.

حملة فايسبوكية تنصّرها «النجمات»



في آذار (مارس) الماضي، ظهرت جروس في برنامج «متلي متلك» على المحطة عينها، لتتحدث عن معاناتها جراء حرمان ولديها من الجنسية. «الأخبار» أجرت حديثاً مع تينا جروس، التي أكدت أنها على قدم المساواة مع باقي النساء، المتزوجات من سوري أو فلسطيني، أو غيرهما من الجنسيات. وأصرّت جروس على البقاء في لبنان، وتحمل تبعات حرمان ولديها من الجنسية، وحرصت بشكل كبير على تعليمهما اللغة العربية «لغة بلدهما». حوارت عدة سجلتها يوميات جروس مع أولادها لأن أباهما فقط أجنبي. تروي هنا كيف صُدم ابنها (13 عاماً)، من حرمانه من المشاركة في مباراة كرة القدم، فقط لأنه يعتبر أجنبياً. أمر لم يفهمه الصبي وقتها. كان هذا «أول بوكس» فكانت تصف جروس الحادثة. بعدها شرحت على طريقته لصغيرها سبب حصول هذا الأمر. وتلفت جروس إلى معاناتها في الاستحصال على الإقامة لولديها، بخاصة مع اشتراط أن يكونا معها في «الأمن العام». وعن أهمية ظهورها ضمن شرائط شهادات أمهات لبنانيات مشهورات، تضع جروس المشروع ضمن خانة «النضال». وإعطاء دفع أكبر للقضية، كونهن وجوه معروفة. مع التنويه بقرارها البقاء في لبنان، لشغفها بهذا البلد. لكن إلى متى؟ تنصر نجمة «3 بنات» على الأمل وعلى إمكانية تحقيق خطوات ولو بسيطة في سبيل إقرار قانون الجنسية. وإن لم يقرّ على أيامها، فالتمتني دائماً بأن يصر إلى تبنيه على «أيام ولديها»!

في الأيام المقبلة، يفترض أن تبدأ جمعية «جنسيتي حق لي ولأسترتي»، بنشر شهادات من نساء معروفات من مجالات مختلفة على صفحتها الفايسبوكية. نساء مشهورات صوّرن فيديوات، وأدلين بشهادتهن الشخصية، كمحرومات من إعطاء الجنسية لأولادهن، ومعاناتهن اليومية مع أولادهن، بخاصة اللواتي قررن البقاء في لبنان. منشقة الحملة كريمة شبو تقول إن الاستعانة بنساء معروفات على الشاشة أو خلفها، ترمي إلى تصويرهن بأنهن متساويات مع باقي اللبنانيات، بخاصة في الجنسية التي يحاول بعضهم التمييز فيها، لإعطاء، أو حجب الجنسية. فالمتزوجة من إنكليزي أو إسباني أو فرنسي، لا تختلف عن المتزوجة من فلسطيني أو أردني أو سوري. ومن ضمن الأسماء: الممثلة باتريسيا نمور (متزوجة من نروجي)، المخرجة رندلى قديح (متزوجة من إسباني)، المناضلة سهى بشارة (سويسري)، والإعلامية رانيا بربوغوث (إنكليزي)، إلى جانب الممثلة ومقدمة البرامج تينا جروس (الصورة) المقترنة بفرنسي.

تينا جروس التي تظهر على mtv، ضمن برنامج Alive الصباحي، وتشارك في أعمال درامية مختلفة. يخال المرء بأنّ الابتسامة التي توزعها على المشاهدين، تنم عن شخصية تعيش بهناء ورغد في بلادها. اختارت جروس العيش هنا، رغم إتاحة الفرصة لها بسهولة للانتقال إلى فرنسا، وتأمين حياة لولديها خالية من المشاكل والتعقيدات القانونية قد تستجلب لهم مشاكل نفسية.